

دراسة خاصة للمنتدي : فلسطين في الضمير التربوي للأمة

ميراث عقدي نترى عليه وتتوارثه الأجيال، جيلاً بعد جيل، وهو أن فلسطين هي أرض الرسالات السماوية ومهد الأنبياء، فقد كانت مهد الديانة الإسلامية، ومهد الشريعة الدّيانة اليهوديّة والشريعة المسيحيّة، ومهد سيدنا المسيح عليه السّلام، وهي أيضاً قبلة المسلمين الأولى، فلقد حدثت على أرضها رحلة الإسراء والمعراج التي قام بها النبي محمد ﷺ، والتي ذكرت في القرآن الكريم ولذلك تتمتع فلسطين وأراضيها المقدّسة بمكانة عالية جدّاً في قلوب كل الأمة الإسلامية بمختلف شعوبها وديانتهم.

وعن ذي الأصابع قال: قلت يا رسول الله: إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: «عليك بيت المقدس، فلعله ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذاك المسجد ويروحون» [أحمد، والهيثمي].

وعن أبي هريرة عن النبي قال: «لا تزال عصابة من أمّتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق - إلى أن تقوم الساعة».

إن قضية فلسطين لدى الأمة قضية محورية وجوهرية في اهتماماتها، بل هي قضية عقيدة. فهي بقعة مباركة من الأرض لها وضع خاص في مجال العقيدة وفي مجال التاريخ. بقعة كما كانت مسرى رسول الله محمد ﷺ، وكانت مركز التقاء كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وإن أي أرض إسلامية احتلها مغتصب؛ فقد وجب على أهلها استردادها، حتى تخرج المرأة دون إذن زوجها، ويخرج الولد دون إذن والديه، ويخرج العبد دون إذن سيده. ذلك أن الدفاع عن الأرض والوطن في هذه الحالة فرض عين على جميع أهل الوطن المحتل، فإن استطاعوا ردها فيها ونعمت، وإلا فقد وجب على الدول المجاورة معاونتها.

ومن خلال أقوال الفقهاء يتعين على أهل الأرض المسلمة المحتلة الجهاد من أجل تحريرها؛ أي يفرض عليهم الجهاد كالصلاة المفروضة وكصيام رمضان.

الدفاع عن القدس

والدفاع عن القدس وتحريها بجميع الوسائل المتاحة فريضة شرعية، وضرورة قومية، ووطنية، وإنسانية. وأن التخلي عن هذه القضية هي التخلي عن هوية الأمة ومقدساتها.

ولذا تمثل فلسطين في فهم الإخوان (أرض وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يفرط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جدًا منها، ولذلك فهي ليست ملكًا للفلسطينيين أو العرب فحسب، بل هي ملك للمسلمين جميعًا.. فعلى المسلمين في كل مكان أن يساهموا عمليًا في تقديم المال والدم للدفاع عنها).

من أجل ذلك عمل الإخوان على تحقيق هتافهم (الجهاد سييلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا).

لقد تحدث كثير من الباحثين والكتّاب عن دور الإخوان المسلمين في مصر نحو القضية الفلسطينية منذ مؤتمر القدس عام ١٩٣١م، حتى كللت بدورهم في الحرب حينما أرسلوا كتبتين إلى فلسطين، وقد نال بعضهم الوسام الملكي من الدرجة الأولى، ونشرت صحيفة الأهرام عام ١٩٤٩م ذلك الخبر.

لقد أدرك الإمام ما بيّنت لفلسطين من شرور ومخططات ترمي إلى خطفها من أهلها، وإحلال اليهود الوافدين إليها من كل الآفاق محلهم، بدعم من البريطانيين، وقد عبر البنا عن ذلك بقوله: «إن مصر والعالم العربي والإسلامي يفتدي فلسطين»^(١).

وكان لموقف البنا من القضية الفلسطينية دافع أن يمدحه الدكتور مصطفى السباعي بقوله: «فوالله ما رأيت إنسانًا أروع في الفداء، وأخلص في النصح، وأنبل في التربية، وأكرم في النفس، وأعمق أثرًا في الإصلاح من حسن البنا رحمه الله»^(٢).

(١) رسالة مؤتمر رؤساء المناطق والشعب ومراكز جهاد الإخوان المسلمين على مستوى القطر المصري، ٢ شوال ١٣٦٤هـ - ٨ سبتمبر ١٩٤٥م، ص ٦٣٠.

(٢) مصطفى السباعي: عظماءنا في التاريخ، دار الوراق للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٢٤٧.

ولقد عبر محمد محمود الصواف عن ذلك بقوله: «إن معركة فلسطين هي امتداد لمعارك صلاح الدين بالأمس»^(٣).

وأضاف: «وقضيتنا اليوم هي قضية الإسلام الكبرى، وما فلسطين إلا قلب الوطن الإسلامي النابض، وهي ثغر الجزيرة التي يربض فيها نبي الإسلام ورسوله - محمد ﷺ - وهي طريق الإسلام إلى عاصمته الدينية المقدسة (مكة المكرمة)».

الجهاد في فلسطين

وعندما صدر قرار تقسيم فلسطين في عام ١٩٤٧م؛ صار الصواف يجوب مدن العراق الواحدة بعد الأخرى يعدّ كتائب المجاهدين لقتال عصابات اليهود، ويجمع الأموال للجهاد، وكان - رحمه الله - ذا صوت جهوري، وخطيباً مفعّوها، فلم يكن أحد يستمع إليه إلا وشده إليه، وقاد الشيخ المظاهرات في بغداد مرفوعاً على أكتاف مؤيديه، يهتف لنصرة أرض الإسراء والمعراج، ولم يكن أهل العراق وقتها معتادين على رؤية شيخ بالجملة والعمامة الأزهرية يقود المظاهرات ويخطب خطباً سياسية ويعمل لقضية فلسطين^(٤).

ولقد لى نداء التطوع ١٥ ألفاً، معظمهم ممن تدرّب في الجندية أو الشرطة. وكان للإخوان المسلمين في تلك الفترة دور أساسي في تعبئة الجماهير للجهاد، وكانوا على رأس المظاهرات التي خرجت للتنديد بقرار تقسيم فلسطين، والتي اشترك فيها ٢٠٠ ألف عراقي في بغداد^(٥).

وتألّف من المتطوعين للجهاد كتيبتا الحسين والقادسية (كل واحدة تتكون من ٣٦٠ مقاتلاً) وقد وصلنا إلى فلسطين في مارس ١٩٤٨م^(٦).

(٣) محمد محمود الصواف.. رائد الحركة الإسلامية في العراق: إخوان أون لاين، ١٠ / ٤ / ٢٠٠٨م، <http://cutt.us/EILhG>

(٤) محمد مكي: محمد محمود الصواف، رابطة العلماء السوريين، الإثنين ١٧ ربيع الثاني ١٤٣٥ - ١٧ فبراير ٢٠١٤م،

<http://cutt.us/vnnj3>

(٥) بيان الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١)، ص ٦١٢

(٦) وليد الخالدي وآخرون: حرب فلسطين ١٩٤٧-١٩٤٨م (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية،

١٩٨٦ ص ٢٢١.

وتفاعل سكان شرق الأردن مع حرب فلسطين، وشكل الإخوان المسلمون هناك لجنةً لجمع التبرعات والمساعدات، كما فتحوا باب التطوع للمشاركة في الجهاد، وكان تجاوب الناس رائعاً، فيذكر محمد عبد الرحمن خليفة أنه عندما فتح باب التطوع في شعبة السلط؛ سجل أكثر من ثلاثة آلاف شخص أنفسهم^(٧).

وتكونت من إخوان منطقة عمان وما حولها سرية متطوعين تضم نحو ١٢٠ مجاهدًا من الإخوان المسلمين، وسميت باسم (سرية أبي عبيدة) وقد تولى قيادتها الإخوانية الحاج عبد اللطيف أبو قورة- المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن في تلك الفترة- أما قيادتها العسكرية فقد تولاهم الملازم المتقاعد ممدوح الصرايرة، وقد دخلت فلسطين في ١٤/٤/١٩٤٨م وتمركزت في عين كارم وصور باهر، وقد خاضت هذه السرية عدة معارك واستشهد عدد من أفرادها^(٨).

وكانت توجد سرية بقيادة عبد اللطيف أبو قورة، ومساعدته ممدوح الصرايرة من الكرك، وكان موقعها في جبال القدس، وكانت السرية الثانية في بيت لحم بقيادة فارس عقيل، ومساعدته عربي الجميل، كما تواجد مناضلون من بني صخر في كل من اللد والرملة، بقيادة الشيخ محمد الفايز، ومن الحويطات بقيادة الشيخ هارون بن جازي، وكانوا في أول باب الواد^(٩).

فلسطين تُباع

الغريب أن الموقف تغير في الآونة الأخيرة، حيث سارع حكام العرب والمسلمين على التنازل عن أرض فلسطين للكيان الصهيوني بعد التطبيع التام معه، وتهجم الإعلام العربي على الفلسطينيين وسفّه من قضيتهم.

فالجيل الذي عاش شبابه في الأربعينات شاهداً على الأحداث في أوج ظلامها، توشك شمسه أن تغيب للأبد، والللاجئون الذين تشتتوا في الأرض عشرات السنين على أمل العودة يوماً ما، يخشون الآن أن يقبعوا في التيه طول عمرهم، أو أن يُدفن أحفادهم في أوطانٍ غريبةٍ قاحلة بعدما

(٧) حوار أجراه د/ محسن صالح مع محمد عبد الرحمن خليفة، عمان، ٣٠/١٠/١٩٨٥م.

(٨) سليمان موسى، أيام لا تنسى: الأردن في حرب ١٩٤٨م (الأردن: مطبعة القوات المسلحة الأردنية، ١٩٨٢م)، ص ٤٤-٤٥.

(٩) د. أحمد النل: معارك الجيش العربي الأردني في حرب ١٩٤٨م، موقع صحفي، <http://cutt.us/pD.QP>

شاهدوا من فصول الرواية الأخيرة أنّ القصة أوشكت على الانتهاء، بتوقيع صفقة ترامب كما يُروّج أبطالها.

فقد بدأ مسيرة التنازل والتفريط في فلسطين الحسين بن علي- شريف مكة- وتبعه من بعده حكام العرب في هذا الصدد.

بعدهما وجدت بريطانيا أنّ أصدقاءها في الشرق يدعمون سياستها سرّاً، بدأت الحكومة الإنجليزية في إصدار القوانين التي تسهل انتقال الأراضي المملوكة للدولة العثمانية إلى اليهود، وفي عام ١٩٢٢ أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الأول، والذي وعدت فيه بريطانيا العرب مرة أخرى بأن الاستيطان لن يؤثر على وجودهم، لكنّ الغضب العربي لم يكن ليقتبل بالسياسات الجديدة، وفي عام ١٩٣٠ صدر الكتاب الأبيض الثاني، الذي أكد صراحة على تنفيذ وعد بلفور.

وفي عام ١٩٩١ عقدت الولايات مؤتمر (مدريد) بمشاركة خمس دول عربية: مصر، وسوريا، والأردن، ولبنان، وفلسطين؛ بهدف تشجيع البلدان العربية على توقيع اتفاقيات سلام مع (إسرائيل) كان أهم بنودها السرية: منع إقامة دولة فلسطينية بين الأردن و(إسرائيل).

كما شهدت التسعينات طفرة في العلاقات العربية الإسرائيلية، فكلٌّ من قطر، وتونس، والمغرب، وموريتانيا، وعمان كانوا على علاقات علنية وتطبيع رسمي مع (إسرائيل)، إلا أنّ الحدث الهام كان الوصول لأول مفاوضات مباشرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، عقب انتهاء الانتفاضة بتوقيع اتفاقية «أوسلو» عام ١٩٩٣، وهو الاتفاق الذي أنهى ٦٠ عامًا من الصراع المسلح في سبيل القضية الفلسطينية، ووصفه مدير الاستخبارات الإسرائيلي فيما بعد بأنها: «استعمار فاخر».